

July 1989

## أحكام الحرب الدولية المشروعة في نظر الإسلام والجوانب الإنسانية المميز لها- أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي

Follow this and additional works at: [https://scholarworks.uaeu.ac.ae/sharia\\_and\\_law](https://scholarworks.uaeu.ac.ae/sharia_and_law)



Part of the [Jurisprudence Commons](#)

### Recommended Citation

"أحكام الحرب الدولية المشروعة في نظر الإسلام والجوانب الإنسانية المميز لها- أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي" (1989)  
*Journal Sharia and Law*: Vol. 1989 : No. 3 , Article 1.

Available at: [https://scholarworks.uaeu.ac.ae/sharia\\_and\\_law/vol1989/iss3/1](https://scholarworks.uaeu.ac.ae/sharia_and_law/vol1989/iss3/1)

This Article is brought to you for free and open access by Scholarworks@UAEU. It has been accepted for inclusion in Journal Sharia and Law by an authorized editor of Scholarworks@UAEU. For more information, please contact [sljournal@uaeu.ac.ae](mailto:sljournal@uaeu.ac.ae).

---

## أحكام الحرب الدولية المشروعة في نظر الإسلام والجوانب الإنسانية المميز لها- أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي

### Cover Page Footnote

أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي وكيل الكلية والقائم بعمارتها، جمع بين الدراستين الشرعية والقانونية، له أكثر من عشرين مؤلفاً، منها: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ونظرية الضرورة الشرعية، ونظرية الضمان في الفقه الإسلامي، والفقه الإسلام وأدلته في ثمانية مجلدات

# أحكام الحرب الدولية لمشروع في نظر الإسلام والمجانب الإنسانية المميّزة لها

بقلم الأستاذ الدكتور وهب مصطفى الزحبي \*

---

\* وكيل الكلية والقائم بعمادتها، جمع بين الدراستين الشرعية والقانونية، له أكثر من عشرين مؤلفاً منها: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ونظرية الضرورة الشرعية، ونظرية الضمان في الفقه الإسلامي، والفقه الإسلامي وأدلته في ثمانية مجلدات.





## تمهيد وخطة البحث:

لكل أمة في السلم والحرب فلسفة معينة، وضعها الحكماء والعلماء والقادة والرؤساء، وهي تصور الوسائل والغايات، وقد تكون هذه الوسيلة والغاية مشروعة أو غير مشروعة في المعيار الصحيح، في تقدير اناس آخرين يصدرون أحكامهم على ما لدى غيرهم بتجرد وموضوعية، وفكر متزن معتدل، غير متأثر برأي سابق، أو تعصب أو مذهب أو دين معين.

اما الوضع في الاسلام فهو مختلف، لأن مصدر التشريع في السلم والحرب هو الوحي الالهي أو الكتاب السماوي وهو القرآن الكريم الذي يترجم معانيه ومبادئه نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم. والله تعالى حين ينزل وحيه، ويصدر أمره، يقدر أبعاد الحكم في المستقبل البعيد، ويعلم بما يصلح البشر، فيحكم بما هو الاصلح والأخلد الدائم الذي يتعالى عن طبائع الناس وأطماعهم، ويكون حكمه حاسما قاطعا للتردد والتغير. حتى تصير قواعد السلم راسخة تقرر الاستقرار والأمن فعلا، وتكون أنظمة الحرب وسيلة للحسم وانهاء الصراع واستئصال النزاع.

لهذا نرى الدعوة في التشريع الاسلامي الى السلم واستتباب الأمن والسلام العالمي قوية عادلة تعتمد على المواثيق والمعاهدات. كما أن آيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام في تنظيم الجهاد قوية التأثير، شديدة التحريض، عنيفة تلهب الحماسة وتثير الشجاعة، لتؤدي الحرب أغراضها في أسرع وقت وتحسم الصراع ليعود الناس الى حظيرة السلام الدائم المستقر.

وهذا التصور المبني لطبيعة السلام والجهاد في الاسلام المعتمد على الوحي أو التشريع الالهي ينبغي ادراكه في جميع ما أعرضه هنا من احكام توضح جوانب الموضوع لأن الله تعالى أرحم بعباده من أنفسهم، وأدرى بما يصلح أحوالهم.

---

\* آثار الحرب في الفقه الإسلامي ونظرية الضرورة الشرعية، ونظرية الضمان في الفقه الإسلامي، والفقه الإسلامي وأدلته في ثمانية مجلدات



والكلام في الموضوع يتناول ما يلي:

أولاً: مشروعية الجهاد أو الحرب في الاسلام.

ثانياً: أحكام الحرب وقواعد القتال في الاسلام.

ثالثاً: الجوانب الانسانية المميزة للحرب لدى المسلمين.

وبيان هذه الأمور - وان كان يحتاج للإسهاب والتطويل - فهو موجز كاف يحقق الغاية المطلوبة بقدر الامكان، ويدل على ما للاسلام من سبق وتقدم في المجالات الانسانية المتعددة، والأنظمة العالمية.

### أولاً - مشروعية الجهاد أو الحرب في الاسلام:

ليست الحروب في الاسلام "دينية" أي يملئها التعصب الديني ضد أتباع الديانات الأخرى، فالإسلام دين التسامح الذي يقر بوجود الأمم والشعوب والأديان الأخرى، ولا يريد إبادة المخالفين في الدين، ولا يجيز الاكراه على الدين أو الاعتقاد، ويتعاش المسلمون مع غيرهم على صعيد راسخ من السلم والأمان، وحرية ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين، قال الله تعالى: "لا اكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي.." (سورة البقرة: ٢٥٦). وقال تعالى ايضاً: "يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان أكرمكم عند الله أتقاكم" (سورة الحجرات: ١٣) قال ابن تيمية: "لا نكره احداً على الدين، والقتال لمن حاربنا، فان أسلم عصم ماله ودمه، واذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله، ولا يقدر أحد أن ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره أحداً على الاسلام، لا ممتنعاً ولا مقدوراً عليه، ولا فائدة في اسلام مثل هذا، لكن من أسلم، قبل منه ظاهر الاسلام(١)".

وليست الحروب في الاسلام بقصد التسلط على الأمم والشعوب الأخرى، لأن ذلك ظلم والظلم حرام ممنوع في جميع الأديان..

---

(١) رسالة القتال في مجموعة رسائل لابن تيمية: ص ١٢٣ وما بعدها، السياسة الشرعية لابن تيمية أيضاً: ص ١٢٣.



وليس الحروب في الاسلام أيضا في شريعة الاسلام حروبا استعمارية أو اقتصادية لسلب الشعوب أموالهم، ونهب خيراتهم وثرواتهم، أو لفتح الأسواق العالمية أمام المنتجات والصادرات، أو لنزعة عنصرية تعتمد على الشعور بأن شعبا ما أفضل الشعوب العالمية، قال الله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام: لست مؤمنا، تبتغون عرض الحياة الدنيا، فعند الله مغانم كثيرة.." (سورة النساء: ٩٤) وقال سبحانه: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين" (سورة القصص: ٨٣). وقال الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز لبعض ولاته: "إن الله بعث محمدا بالحق هاديا، ولم يبعثه جابيا" (١). وقال ربعي بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص الى الفرس لرستم قائد الفرس قبيل موقعة القادسية: "انا لم نأتكم لطلب الدنيا، ووالله لاسلامكم أحب إلينا من غنائمكم".

وانما الحرب مشروعة في الاسلام بقصد حماية نشر الدعوة الاسلامية، وصون الدعاة الى دين الاسلام دين التوحيد لله، والحق والعدل، والفضيلة والقيم السامية العليا التي تقيم المجتمع الفاضل، وتصحح أوضاع الناس وأنظمة الحياة العامة، فهي ضرورة لم تشرع الا اضطرارا، لدفع العدوان عن المسلمين وديارهم وأموالهم، ولحاربة الظلم ونصرة المظلومين، أو حال التأهب للقتال، ولنزع الاعتداء على الدعاة، وكفالة حرية العقيدة ومنع الفتنة في الدين والتمكين من تبليغ دين الله القائم على نبذ الوثنية والشرك الذي يحتضن عادة ألوانا من الخرافات، ويمس كرامة الانسان، ويهدر حرمة، ووجوده، ويصادم عقله وفكره، ويجعله فريسة الأوهام، ويمنعه التقدم والتحضر والمدنية، لاتخاذ اله آخر مع الله تعالى.

وذلك كله رحمة بمجموع الأمة أن تفسد، والاسلام هو الرحمة العامة للعالمين، والرحمة تقتضي اقامة العدل بين الناس، والعدل يقضي بمحاربة الباطل، وقمع الظلم، وتمكين الناس من معرفة النظام الأصلح للبشرية في الدنيا والآخرة.

ولاشك بأن الضرورة تقدر بقدرها، فلا يصح أن تكون الحرب وسيلة للتمادي بالباطل، وإلحاق الظلم بالآخرين، واستغلال الفرص للتدمير والتخريب وأرواء نزعة الاستعلاء والاستبداد والتسلط على مخلوقات الله تعالى.

أما كون الحرب مشروعة لدفع العدوان والاعتداء والدفاع عن النفس والبلاد والأموال فلقول الله تعالى: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم

(١) طبقات ابن سعد: ٢٨٣/٥.



لقدير" (سورة الحج: ٣٩) وقوله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين" (سورة البقرة: ١٩٠) ومنع الفتنة في الدين لقوله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين" (سورة البقرة: ١٩٣).

ونصرة المظلومين واضطهاد الأقليات الاسلامية ومنعها من ممارسة شعائر الدين لقوله تعالى: "وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها..." (سورة النساء: ٧٥). وهذه المناصرة مقيدة بحال عدم وجود معاهدة سلمية مع الأمم الأخرى، لقوله تعالى: "وان استنصروكم في الدين، فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق (الأنفال: ٧٣).

والخلاصة أن الحرب في الاسلام ضرورة يلجأ إليها في حدود الحق والعدل، فهي حرب دفاعية ضد العدوان، وقد تكون وقائية أو بمبادرة من المسلمين اذا اقتضت ظروف الحرب وسياستها إضعاف العدو الواحد في بلاد أخرى تابعة له، فتفتتح حينئذ جبهة قتال أخرى في ذلك الجزء من البلاد، ولا يجوز قتل إنسان لمجرد أنه يدين بغير الاسلام، وانما القتال لمن قاتل المسلمين، أو اعتدى عليهم أو حال بينهم وبين نشر الدعوة الاسلامية في أرجاء العالم.

وان أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم خارج الدولة الاسلامية هو السلم، وليس الحرب، فالجهد أمر طارئ على تلك العلاقة البشرية كما ذكر الطبري والثوري والأوزاعي وغيرهم من الفقهاء<sup>(١)</sup>، لأن الاسلام دين السلام، وشعاره السلام، وتحية أبنائه أو أتباعه "السلام عليكم" ويحرص دائما على السلام المستقر الدائم القائم على التعاهد والتوادر والعدل كما قال تعالى: "وان جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله، انه هو السميع العليم" (الأنفال: ٦١).

والباعث على القتال أو الجهاد: ليس هو للإكراه على الدين أو المخالفة في العقيدة، أو لإزهاق الأرواح واراقة الدماء وتعذيب البشر، فذلك كله ممنوع في التشريع الإسلامي، وانما شرع الجهاد لدفع الشر ورد الاعتداء، وحماية المسلمين ودعوتهم ودعاة الإسلام من ألوان الأذى والتعذيب ومقاومة نشر الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم، وإضعاف العدو في مختلف الجبهات والأقاليم التابعة له.

---

(١) اختلاف الفقهاء للطبري، تحقيق شخت: ١٩٥.



وأدلة ذلك كثيرة في القرآن والسنة النبوية، منها قول الله تعالى: "كتب عليكم القتال، وهو كره لكم..." (البقرة: ١٦) وقوله تعالى: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير..." (الحج: ٢٩)، وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "إن الله جعل عذاب هذه الأمة في الدنيا القتل" (١) وقال النبي أيضا: "لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا" (٢).

وصرح فقهاء الاسلام بأن مناط القتال هو الحاربة والمقاتلة والاعتداء، لا المخالفة في الدين(٣)، لأن غير المقاتلين من المدنيين لا يقتلون، ولا يقتلون وانما يسالمون وتحمى نفوسهم ودمائهم من ويلات الحرب، فقتلهم حرام شرعا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقتلوا شيئا فانيا، ولا طفلا، ولا امرأة، ولا تغلوا"(٤) أي لا تخونوا جماعة المسلمين بأخذ شيء من غنائم الحرب قبل قسمتها بين الغانمين المحاربين في حال التطوع بالجهاد، لا في حال وجود الجيوش النظامية، التي تدفع فيها الدولة رواتب دورية للمقاتلين" وحينئذ تكون الغنائم للدولة كما في عصرنا الحاضر.

قال الكمال بن الهمام من فقهاء الحنفية: المقصود من القتال هو إخلاء العالم من الفساد، وإن قتالنا المأمور به جزاء لقتال الأعداء ومسبب عنه (٥)، وقال ابن تيمية: فإباحة القتال من المسلمين مبنية على إباحة القتال من غيرهم (٦). وقال ابن القيم: وفرض القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم (٧)،

(١) رواه ابن عدى فى الكامل عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) بداية المجتهد: ٢٧١/١، فتح القدير: ٢٩١/٤، مغني المحتاج: ٢١٠/٤، رسالة القتال لابن تيمية: ص ١١٦ وما بعدها.

(٤) رواه أبوداود والبيهقي.

(٥) فتح القدير: ٢٧٧/٤، ٢٧٩.

(٦) رسالة القتال: ص ١١٦.

(٧) زاد المعاد: ٥٨/٢.



قال الله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين" (البقرة: ١٩٠) وليست هذه الآية منسوخة ولا مخصصة بشيء، إذ لا دليل على التخصيص أو النسخ.

وهذا الموقف الدفاعي بالمعنى الخاص الذي لا يعني السلبية أو انتظار هجوم الأعداء هو الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وقادتهم من بعده في قتال العرب والرومان والفرس، فلم يقتل النبي عليه السلام كفار قريش وهوازن وغيرهم من المشركين العرب، وما استباح الخلفاء المسلمون يوماً ما دم أحد من غير المسلمين في غير حال الحرب القائمة فعلاً.

وما أروع كلمة الفقيه الشافعي عمرو بن الصلاح حين قال مقرراً مذهب جمهور الفقهاء أيضاً: إن الأصل هو إبقاء الكفار وتقريرهم، لأن الله تعالى ما أراد إفناء الخلق ولا خلقهم ليقتلوا، وإنما أبيح قتلهم لعارض ضرر وجد منهم لأن ذلك جزاء على كفرهم، فإن دار الدنيا ليست دار جزاء، بل الجزاء في الآخرة، فإذا دخلوا في عقد الذمة (المعاهدة الداخلية للعيش في دار الإسلام مع المسلمين) والتزموا أحكامها، انتفعنا بهم في المعاش في الدنيا وعمارتها، فلم يبق لنا أرب في قتلهم، وحسابهم على الله تعالى، ولأنهم إذا مكنوا من المقام في دار الإسلام، ربما شاهدوا بدائع صنع الله في فطرته وودائع حكمته في خليقته فأمنوا... وإذا كان الأمر بهذه المثابة لم يجز أن يقال: إن القتل أصلهم (١).

وفي عبارة أخرى لفقهاء الشافعية: إن وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد إذ المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة. وأما قتل الكفار فليس بمقصود، حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد، كان أولى من الجهاد (٢).

وذكر فقهاء الحنابلة في قواعدهم قاعدة مهمة جداً في هذا الموضوع وهي: "الأصل في الدماء الحظر، إلا بيقين الإباحة" (٣).

---

(١) راجع مخطوط فتاوى ابن الصلاح: ورقة ٢٢٤.

(٢) مغني المحتاج: ٢١٠/٤.

(٣) القواعد لابن رجب: ص ٣٣٨.



ومن قواعد فقهاء الحنفية: "الآدمي معصوم ليتمكن من حمل أعباء التكاليف، وإباحة القتل عارض، سمح به لدفع شره". "الكفر من حيث هو كفر ليس علة لقتالهم" أي قتال الأعداء. وقال الامام مالك: "لا ينبغي لمسلم أن يهريق دمه الا في حق، ولا يهريق دما الا بحق(١) أي يريق.

يتبين من هذا أن الأساس الواضح المميز للجانب الانساني في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وأما الحرب فهي أمر طارئ لدفع الشر والعدوان، وإزالة العقبات أمام نشر دعوة الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة أو بالحجة والبرهان والمسالمة. قال الاستاذ الشيخ عبدالوهاب خلاص: "الأمان ثابت بين المسلمين وغيرهم، لا يبذل مال أو انعقاد عقد أو معاهدة، وإنما هو ثابت على أساس أن الأصل السلم، ولم يطرأ ما يهدم هذا الأساس من عدوان على المسلمين أو على دعوتهم(٢).

ويتبين أيضا أن الحرب محصورة في الاسلام في أضيق نطاق ممكن، فلا تتجاوز الجيوش المتحاربة الى المدنيين والمسلمين والعلماء والرهبان ونحوهم.

وإذا كانت الدعوة الاسلامية ذات نزعة عالمية يراد نشرها في أنحاء العالم بالوسائل السلمية، أو بالدعوة القائمة على الحجة والبرهان والقوة الحسنة من المسلمين في أفعالهم ومعاملاتهم، فليس معنى هذا أن تفرض بالسيف، فإن أثر السيف مرهون بوقته، وسرعان ما يزول أثره بعد انتهاء ظرف الحرب، وليس معنى ذلك أيضا أن المسلمين يريدون فرض شريعتهم على العالم فرضا حتى تكون هي الديانة العالمية الوحيدة، فإن ذلك كله محاولة فاشلة، ومقاومة لسنة الوجود، ومغايرة لمراد الله تعالى في هذا العالم فانه تعالى أراد وجود عالم متغاير الأديان، فقال سبحانه: ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس: ٩٩) وقال تعالى أيضا: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين" (هود: ١١٨).

وأسلوب الدعوة الى الاسلام واضح يقوم على أساس السلم والعقل والإقناع والاسلام دين بيان وبلاغ وارشاد، ولا يفيد الا القناعة بمبادئه وعقيدته، قال الله تعالى: "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين" (النحل: ١٢٥).

(١) اختلاف الفقهاء للطبري، تحقيق الدكتور شخت: ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) السياسة الشرعية لخلاف: ص ٧٤، ٩٢.



وشعار الدعاة الى الاسلام هو قول الله تعالى مخاطباً أهل الكتاب، أي اليهود والنصارى: "قل: يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا، فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون" (آل عمران: ٦٤). وقوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين". (الحشر: ٨).

## ثانياً: أحكام الحرب وقواعد القتال في الاسلام:

نظمت شريعة الإسلام حالة الحرب في بدئها وأثنائها وبعد انتهائها، ووضعت القواعد الواجبة التطبيق في هذه المجالات، على أساس وطيد من ضرورة مراعاة الظروف الاستثنائية الناشئة عن الحرب، وأن الحرب ليست كفاحاً بين الشعوب، وإنما هي أمر طارئ يحتاج الى حسم سريع، وحل عادل، وتسوية شاملة لآثارها الناجمة عنها، ومحصورة في دائرة القتال القائمة، أو بين الجيوش المتحاربة فقط.

### ١ - بدء الحرب:

يجب قبل بدء الحرب كما ذكر فقهاء المالكية والزيدية إبلاغ الأعداء مضمون الدعوة الإسلامية سواء بلغتهم أم لا، للتعرف على مبادئ عقيدة الإسلام، وترك الفرصة المواتية للتفكير في احتمال قبول دعوة الاسلام، أو الرضا بالمعاهدة السلمية لتوفير مناخ الأمن والسلام والاستقرار في العلاقات الدولية، قال الله تعالى: ستنذرون الى قوم أولي بأس شديد، تقاتلونهم أو يسلمون" (سورة الفتح: ١٦). وقال عبدالله بن عباس من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم: "ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما قط الا دعاهم" (١).

وقال بريدة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: وأذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال، فأيتتهن ما أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، ادعوه الى الاسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فسلهم الجزية (٢)، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، وإن

(١) رواه أحمد والبيهقي والحاكم وأبو يعلى والطبراني.

(٢) الجزية: ضريبة تفرض على الرجال القادرين على حمل السلاح بمقدار دينار على الشخص في العام، دليلاً على الولاء والتزام العهد.



أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم..."(١). وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وصحابه، حينما أرسلهم الى اليمن قائلاً: لا تقاتلوهم حتى تدعوهم، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤكم، فإن بدؤكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، ثم أروهم ذلك، وقولوا لهم: هل الى خير من هذا السبيل، فلأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت".

وسأل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، أي مسلمين؟ فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم الى الاسلام، فوالله لأن يهتدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم(٢).

وإذا رفض العدو المسألة أو الاسلام يتبعه في الغالب إبلاغ الدعوة الإسلامية الذي يشبه الإنذار الحربي بإعلان الحرب، منعاً من المباغته والغدر. وقد يبدأ المسلمون بقتال العدو أحياناً دون إعلان للحرب إذا كانت حالة الحرب قائمة مع الأعداء، أو إذا باشر العدو الحرب فعلاً، أو تأهب للقتال، أو نقض المعاهدة واستعد لشن الحرب الهجومية، لبدء العدو بالغدر والخيانة. وهذا ظرف خاص تقتضيه سياسة الحرب ووضع الخطة المناسبة لتحقيق النصر قبل المفاجأة أو المباغته المنتظرة من قبل العدو.

## ٢ - قواعد الحرب:

تحكم قواعد الحرب في الإسلام قاعدة أو مبدأ "المعاملة بالمثل" ما لم تكن الوسائل الحربية ضارة ضرراً عاماً، أو مبيدة للجنس البشري، أو دنيئة خسيصة، تنبذها مكارم الأخلاق، وتتصادم مع الاعتبار والمبادئ الانسانية التي سنذكرها فيما بعد، سواء في حال استعمال وسائل الحرب المادية، أو المعنوية.

وذلك لأن أكثر آيات القرآن التي تحرض على القتال يراود بها مضاهاة أو مماثلة صنيع الأعداء، أو التدريب على القتال وفنونه" ورفع مستوى الإعداد الحربي.

ففي نطاق الوسائل المادية: يستعان على الأعداء في رأي أغلب الفقهاء بكل وسيلة تؤدي الى كسر شوكتهم، سواء أكانت الوسيلة شديدة أم خفيفة، لكن

(١) رواه احمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن سليمان بن بريدة عن أبيه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد. وحمر النعم: كرائعها، وهو مثل في كل نفيس.



استعمال الأشد مع إمكان تحقيق المقصود بالأخف فيه كراهة ، لأنه افساد في غير محل الحاجة، كما قال الكمال ابن الهمام(١)، فيجوز استخدام السلاح الأبيض والآلات الثقيلة، وتسميم العدو بمثل قاذفات اللهب والغازات السامة. ولكن لا يجوز عند فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة تحريق أحد من الأعداء بالنار، لا حيا ولا ميتا، لقوله صلى الله عليه وسلم "لا تعذبوا عباد الله بعذاب الله"(٢). أي باستخدام النار. واستثنى المالكية حالة المعاملة بالمثل أي استعمال النار للضرورة الحربية إذا استعملها العدو. ولم يجز المالكية تسميم العدو، سواء بوضع السم في المياه أو الغازات أو السهام(٣)، وينبغي اعتماد هذا المذهب في الشريعة وفي العصر الحاضر وغيره بسبب الضرر العام الذي يترتب على استعمال هذه الغازات.

ويجوز التفريق بالماء، ولا مانع من قطع المياه عن الجيش المقاتل لحمله على التسليم. لكن لا تجوز كما بينا الحرب البكتولوجية والكيمياوية والذرية لمنافاتها لمبدأ الرحمة العامة وأوامر الشرع بالإحسان في القتل، كما لا تجوز المثلة: وهي الفعلة الشنيعة التي تصيب الأجسام وتشوهها من غير فائدة، كرض الرأس، وقطع الأذن أو الأنف أو العتب باليد أو البطن أو فقه العين ونحو ذلك بعد الموت(٤)، لحديث رواه البخاري: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المثلة والنهب" وحديث آخر رواه مسلم وغيره "اغزوا - أي حاربوا - ولا تغلوا - لا تخونوا بأخذ شيء من غنائم الحرب - ولا تغدروا ولا تمثلوا". والنهي عن المثلة يتناول "رصاص دمدم" لأنه أداة تمثيل يمكن توقيها وتجنبها.

ولا مانع من الحصار الحربي برا وبحرا، لمنع الإمداد والإلجاء الى التسليم، وكذا الحصار الاقتصادي للتضييق على العدو، وإرباك مخططاته وضعافه، لقوله تعالى: "فاذا انسلخ الأشهر الحرم، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد" (التوبة: ٥). وكان التعرض لقافلة

(١) فتح القدير: ٢٨٦/٤، الأحكام السلطانية للماوردي: ص ٤٩، الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٣٤.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) الشرح الكبير للدردير مع حاشية الدسوقي: ١٧٧/٢.

(٤) فتح القدير: ٢٨٩/٤، الشرح الكبير للدردير مع الدسوقي: ١٧٩/٢.



أبي سفيان زعيم المشركين في مكة قبل معركة بدر نوعاً من الحصار الاقتصادي. وتقضي طبيعة الحرب إحداث ظاهرة التخريب والتدمير للحصون والقلاع، وقطع الأشجار للضرورات أو المصلحة الحربية، لقوله تعالى: "ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله، وليخزي الفاسقين" (الحشر: ٥). والينة: شجرة النخيل التي تمرها سمين ويسمى العجوة.

ومنع أبو بكر الصديق والليث بن سعد وأبو ثور والأوزاعي من الفقهاء والحنابلة التخريب والتحريق والهدم وقطع الأشجار المثمرة، لقول أبي بكر في وصيته ليزيد بن أبي سفيان: "واني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرمًا، ولا تقطعن شجرة مثمرة، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن" (١) وقال الأوزاعي: لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً مما يرجع إلى التخريب في دار الحرب، لأن ذلك فساد، والله تعالى لا يحب الفساد (٢) وهذه ظواهر حضارية رائعة وإنسانية متميزة سبق الخلفاء والفقهاء المسلمون إلى تقريرها منذ بزوغ فجر الإسلام قبل أربعة عشر قرناً.

وأما الوسائل المعنوية التي لا تخل بقواعد الإنسانية والشرف والمبادئ الأخلاقية الكريمة فتجوز في الإسلام، كاستعمال الحيل والخداع المشروع لتحقيق الظفر، للحديث النبوي: "الحرب خدعة" (٣) وقال النووي: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار - أي الأعداء - في الحرب، كيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل (٤).

ويجوز إيقاع العدو في كمين، واستخدام الألغام البرية والبحرية، وتفريق صفوف العدو، ولو ببذل المال، وحرب الأعصاب، وإضعاف معنويات العدو بكل

(١) نيل الأوطار: ٢٤٨/٧ وما بعدها.

(٢) شرح السير الكبير ٤٣/٨.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي: ٤٥/١٢.



الوسائل الممكنة، والتجسس، والاغتيال باستخدام بعض الحيل والخدع لقتل عدو  
ماكر، ونحو ذلك.

### ٣ - طرق انتهاء الحرب:

هناك في شريعة الحرب في الاسلام أو ما يسمى بالجهاد ضمانات كثيرة لإنهاء  
الحرب وإقرار السلام،

أولها: نظرة الإخاء العام للبشرية والتكريم الشامل للإنسانية قاطبة، دون تفرقة  
جنسية أو عنصرية أو طبقية، فالناس جميعا مخلوقات الله وهم على درجة واحدة  
من المساواة في الاعتبار الإنسانية، والأخوة البشرية، قال النبي صلى الله عليه  
وسلم: "الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله" وأثبت القرآن الكريم  
مبدأ الأخوة الإنسانية في قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من  
نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء" وقال تعالى:  
"ولقد كرمنا بني آدم" (الاسراء: ٧٠) وجاء في رسالة الامام علي بن أبي طالب  
للأشتر النخعي لما ولاه على مصر: "الناس عندك صنفان: اما أخ لك في الدين، أو  
نظير لك في الخلق" (١).

ثانيها: حرص الإسلام على السلام الوطيد الأركان المستقر الدائم، وأن الحرب  
ضرورة استثنائية فقط، قال عمرو بن العاص لأرطبيون الروم قائد معركة أجنادين  
في فلسطين: "أدعوك الى الاسلام، فان أبيتم فالتسليم ودفع الجزية، وان أبيتم  
فالحرب الحرب، اننا دعاة سلام واسلام، نجاهد من أجل الحق واعلاء كلمة الله".  
وجاء في كتاب الامام علي بن أبي طالب للأشتر النخعي: "اياك والدماء وسفكها  
بغير حلها فانه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة  
وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين  
العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة" (٢).

وهذا دليل واضح على أن الأصل في اراقة الدماء هو الحظر أو المنع، وأن  
جوهر رسالة الاسلام تحقيق السلام العام، وازهار الرحمة العامة بجميع أبناء  
البشر. فاذا اضطر أتباعه الى خوض الحرب، كانوا الفرسان المغاوير لإحراز

---

(١) نهج البلاغة: ٢ ص/١١١.

(٢) نهج البلاغة: ١٤٣/٢.



النصر، والقضاء على النزاع الطارئ، للعودة الى أصل السلام، وتوفير الأمن والطمأنينة والاستقرار ، قال الله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين" (البقرة: ١٩٣). ولس معنى السلام بداهة الاستسلام للأعداء وإنما هو سلم القوي الحذر الذي يعد العدة الكافية دائما لمجابهة الأعداء عند الاقتضاء واللزم.

ثالثها: إن الاسلام لم يكتف ببناء السلام أو بمبدأ التعايش السلمي نظريا، وإنما صنعه فعليا، ودعا الى أكثر من ذلك وهو التسامح والتعايش الودي الذي يتجاوز المسألة الى تحقيق المودة والمحبة والمشاركة في العيش الحر الكريم والعدل التام في المعاملة والقضاء ، قال الله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم، وتقسطوا اليهم، ان الله يحب المقسطين" (الممتحنة: ٨).

رابعاً: ان المسلمين أصحاب رسالة إلهية يريدون تبليغها للناس، والتوصل إلى قبولهم، واغراء الناس بمبادئها وأحكامها وتشريعاتها لأنها رسالة سلام وحق، وهم أيضا يلتزمون بأخلاق الاسلام على أنها جزء من العقيدة والدين، فلا تجد فيهم غلظة أو وحشية أو قسوة تخرجهم عن الحدود الانسانية، وهم أرحم الناس بالناس، ولا يلجؤون الى شيء من الأذى والضرر الا بقدر الحاجة أو الضرورة، ولا يرضون بالظلم ولا يظلمون الناس.

لكل هذه الاعتبارات والمبادئ تكون العودة الى السلام قريبة وسريعة الحصول وتنتهي الحرب بوسائل متعددة أهمها ست ما يأتي:

## ١ - اعتناق الإسلام:

تنتهي الحرب بالدخول في عقيدة الإسلام، لأنه الهدف المنشود من حوار المسلمين مع غيرهم، ولأنه يجسد القيم العليا الصالحة للمجتمعات الرشيدة، ويكون الاتحاد في الملة سببا لاقرار سلم دائمة قائمة على مصالح مشتركة وغايات واحدة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث بعثا قال: "تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم - أي الى الاسلام - فما على الأرض من أهل بيت من مدر ولا وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب الي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم" (١).

(١) شرح السير الكبير: ٥٩/٨.



## ٢ - المعاهدة أو الصلح:

تنتهي الحرب اما بالهدنة أو الصلح المؤقت، أو بالصلح المؤبد الذي يكون في ظله المسلمون وغيرهم في تعايش سلمي دائم. كما تنتهي الحرب بأمان (تأمين) صادر من قائد أو رئيس مسلم لأهل حصن أو اقليم أو بلد كما سائبين. ويمكن أيضا عقد معاهدات مع غير المسلمين لإقامة علاقات حسن جوار أو علاقات ودية أو تجارية أو لأغراض أخرى، أو من أجل قبول فكرة حياد شعب أو دولة، وتكون هذه المعاهدات سبيلا لتوطيد السلم والأمن الدوليين. ويفضل المسلمون إقامة السلام على أساس المعاهدات.

ولهذا فان انضمام الدول الاسلامية إلى ميثاق الأمم المتحدة القائم على إقرار وحماية مبدأ السلام العالمي يعد متفقا مع تشريع الإسلام، ومنسجما مع تطلعاته في توفير المناخ الملائم لتوطيد أركان السلم العالمي، والتمكين من نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء العالم بالطرق السلمية.

## ٣ - الفتح:

أي ضم أراضى بلد آخر بالقوة، وهذا كان سائدا في الماضي، وهو قائم على أساس مبدأ المعاملة بالمثل وبه تنتهي الحرب.

## ٤ - ترك القتال أو الانسحاب الجماعي للجيش:

يجوز الانسحاب حين وجود مصلحة في الانصراف عن الحرب أو لتفادي ضرر أكبر حال الاستمرار في المعركة. وحينئذ تنتهي الحرب من الناحية الفعلية، وربما يكون إنهاء الحرب بعدئذ سببا للدخول في مفاوضات لعقد معاهدات سلمية وأمنية.

## ٥ - التحكيم:

وهو اتفاق بين طرفين أو أكثر على إحالة النزاع بينهم الى طرف آخر ليحكم فيه. وهو سبيل لإنهاء الحرب وتوفير السلم..

أما تسوية القتال بين بلدين أو شعبين مسلمين، فيكون بالطرق السلمية والمساعي الحميدة والمصالحة، بالرغم من شدة مخالفة وجود هذه الحرب لقواعد الاسلام، قال الله تعالى: "إنما المؤمنون اخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون.." (الحجرات: ١٠)، وإذا كان التدخل الحربي الجماعي المحايد من الأمة الاسلامية سببا ناجعا لإنهاء الحرب بين فئتين إسلاميتين، فلا مانع منه



شرعا، لقوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاعت فأصلحوا بينهما بالعدل، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين" (الحجرات: ٩).

وبناء عليه تكون صورة المجتمع الدولي في التصور الاسلامي قائمة على أساس وجود شعوب اسلامية، وشعوب محايدة، وشعوب معاهدة، وإذا وجدت المعاهدة فلا يجوز اعلان الحرب على المعاهدين الا اذا صدر منهم ما يدل على نقضها، أو خيفت خيانتهم، فينبذ العهد لهم، ويحاربون اذا توافرت القوة اللازمة، من أجل العودة الى قاعدة السلام، وهذا ما يسمى بمبدأ نبذ العهد، تحرزا من الغدر والخيانة عملا بالقاعدة الاسلامية: "وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر" قال الله تعالى: "ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء" (الانفال: ٥٨) أي متساوين في العلم بنقض العهد.

وانقسام العالم في تقدير الفقه الإسلامي الى دار إسلام ودار حرب انقسام مؤقت ناشئ من نشوب الحرب كما هو معروف الآن من وجود منطقة حرب ومنطقة حياد، فاذا ما انتهت الحرب، عاد الناس الى الأصل العام وهو كون الدنيا دارا واحدة تجمع جميع الأمم والشعوب كما قرر ذلك الامام الشافعي(١).

## ٦ - عهود الأمان:

انفرد النظام الإسلامي بين النظم العالمية بما يعرف بعقود أو عهود الأمان التي يمكن التوصل بها الى إنهاء الحرب وإقرار السلام مع الآخرين ولو بواسطة الأفراد العاديين. فللمسلم أو المسلمة منح أحد أفراد العدو أمانا من أجل الدخول الى ديار الإسلام، أو للسماح له بسماع القرآن الكريم والتعرف على حقيقة دعوة الإسلام، أو للتجارة والسياحة، أو للمفاوضة وتبليغ السفارات وخطابات الحكام "السفراء والقناصل" أو لإنهاء الحرب ورفع راية السلام في ناحية معينة من نواحي الحصار الحربي في قلعة أو حصن.

والأمان: هو عقد يفيد ترك القتل والقتال مع الحربيين(٢)، أي الأعداء وهو نوعان: خاص وعام، والأمان الخاص: هو ما يكون للواحد أو لعدد قليل محصور، كعشرة، فما دون. والأمان العام: هو ما يكون لجماعة كثيرة غير محدودة، كأهل

(١) تأسيس النظر للدبوسي: ص ٥٨.

(٢) مغني الحجاج: ٢٣٦/٤.



ولاية أو إقليم، ولا يعقده إلا الامام الحاكم ونائبه كالهدنة، أو الصلح المؤقت، لأنه من المصالح العامة التي لا يستطيع تقديرها غير ولي الأمر.

ونظام الأمان يحقق كل أنواع الحماية والرعاية والاطمئنان لشخص العدو وأمواله وأسرته في بلاد الاسلام، أو لعقد الصلوات السلمية والمبادلات التجارية وغيرها، فهو من الدعائم الأصلية لإقرار السلام، وقد كان إعطاء الأمان لوفود المسيحية في الحروب الصليبية نتيجة التسامح الاسلامي يعد أساسا للمعاملات الدولية<sup>(١)</sup>.

وبالأمان كفل الاسلام للرسل والسفراء مختلف أنواع الحماية والحصانة الشخصية والمالية، وأضفى عليهم كل صنوف التكریم والإعزاز، حتى وإن أساءوا للمسلمين، ليتمكنوا من أداء مهامهم السلمية والانسانية، ويحققوا الخير والتعاون والسلم بين دول العالم وفئاته وشعوبه.

وأدلة مشروعية الأمان فيما ذكر : ما جاء في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلفه مأمنه" (التوبة: ٦) قال ابن كثير في تفسير الآية: والغرض أن من قدم من دار الحرب الى دار الاسلام في أداء رسالة أو تجارة أو صلح أو مهادنة، أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الامام أو نائبه أمانا، أعطي أمانا مادام مترددا في دار الإسلام، وحتى يرجع الى داره ومأمنه<sup>(٢)</sup>..

وقال القرطبي أيضا: وقد كان المشركون يطلبون لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل الكلام في الصلح وغيره من مصالح دنياهم<sup>(٣)</sup>.

وجاء في السنة النبوية ما يدل صراحة على صحة الأمان من كل مسلم مكلف مختار، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أصول العلاقات السياسية الدولية للدكتور أحمد سويلم العمري: ص ٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٢.

(٣) تفسير القرطبي: ٧٧/٨.

(٤) رواه أحمد والبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ورواه أيضا مسلم عن أبي هريرة.



ولم يتعرض النبي صلى الله عليه وسلم بأي أذى أو إساءة لمبعوثي مسيلمة الكذاب، وقال "لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما" قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: فمضت السنة أن الرسل لا تقتل (١). وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن رد مبعوث قريش اليهم الذي جاء مسلما تنفيذا لبثود صلح الحديبية: "اني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرود (٢) أي لا أنقض العهد، ولا أمنع الرسل من العودة لبلادهم.

وأجمع فقهاء الإسلام، على حماية الرسل والسفراء، وأجازوا للمبعوث السياسي أن يدخل بلاد المسلمين من دون حاجة إلى عقد أمان (٢)، ولم يجيزوا الغدر برسل العدو وسفرائه، حتى ولو قتل الأعداء رهائن المسلمين والموجودين عندهم، فلا تقتل رسلهم، لقول بعض الصحابة كما تقدم: "وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر" (٣).

وتطبيقا لهذا المبدأ السامي كان العرب في الحروب الصليبية يراعون حرمة الرسل الأوروبيين، بخلاف ما كان يلقاه رسل المسلمين لدى الغربيين الصليبيين من إهانة وإيذاء (٤). ومثاله أن صلاح الدين الأيوبي كان يذهب بنفسه لعلاج ريتشارد قلب الأسد من مرضه الخطير الذي أصابه، ويطلق سراح الأسرى الفرنجة بشفاعة نسائهم، مما يدل على موقف إنساني رفيع للمسلمين والإسلام.

### ثالثا: الجوانب الانسانية المميزة للحرب لدى المسلمين:

عرفنا كثيرا من الجوانب الانسانية للحرب التي يخوضها المسلمون مع غيرهم، سواء في بدئها أو أثناءها أو في نهايتها، ويمكن توضيح بعض هذه الجوانب فيما يلي:

(١) رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن أبي رافع.

(٢) شرح السير الكبير: ١/١٩٩، المبسوط للسرخسي: ١٠/٩٢، القوانين الفقهية: ص ١٥٤.

(٣) السير الكبير: ١/٣٢٠، الخراج لأبي يوسف: ص ١٨٨.

(٤) رسل الملوك: ص ١٣٩، ١٥٣.



## ١ - حماية السكان المدنيين وأموالهم:

الحرب مقصورة في الاسلام على الجيوش المتحاربة، فلا تتعداها الى بقية شعب دولة ذلك الجيش المعادي، وتكون الأعمال الحربية موجهة أصالة الى المقاتلين، ويكون قتل العدو جائزا في الحرب اذا شارك برأي أو تدبير أو قتال، ولا يجوز شرعا قتل غير المقاتلة ممن يسمون حديثا بالمدنيين من نساء وأطفال ورهبان وفلاحين وعلماء وغيرهم الا اذا قاتلوا بالفعل أو بالإمداد العسكري أو المادي أو بالرأي والمشورة والتخطيط، للأحاديث النبوية الناهية عن قتل النساء والصبيان والشيوخ ونحوهم، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا" (١) "لا تقتلوا امرأة ولا وليدا" "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان" وروى البيهقي وأبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "انطلقوا باسم الله، وضموا غنائمكم، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين" وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيوشه قال: "لا تقتلوا أصحاب الصوامع" وهذا رأي أغلبية الفقهاء (٢).

وكل من لا يحل قتله في حال الحرب أو القتال، لا يحل قتله بعد الفراغ من القتال، وكل من يحل قتله في حال القتال اذا قاتل، يباح قتله بعد الفراغ من القتال من حيث المبدأ أو للضرورة أو المصلحة العامة، الا الصبي والمعتوه الذي لا يعقل، فانه يباح قتلها في حال القتال اذا قاتلا، ولا يباح قتلها بعد الفراغ من القتال اذا أسرا، حتى وان قتلا جماعة من المسلمين في أثناء القتال، لأن القتل بعد الأسر عقوبة، وهما ليسا من أهل العقوبة، فأما القتل في حال القتال فلدفع شر القتل، فاذا وجد الشر منهما، فأببح قتلها، لدفع الشر، لا بعد زواله. وكذلك اذا تترس الأعداء بالنساء والصبيان ونحوهم فلا يجوز قتلهم ورميهم حينئذ في رأي الإمامين مالك والأوزاعي الا في حال مخافة العدو على المسلمين أو اجتياح ديارهم وبلادهم (٣).

واذا تترس الأعداء بأسرى مسلمين، جاز قتلهم من غير قصد لهم بذواتهم وأعيانهم لضرورة الحرب، وحفاظا على مصلحة المسلمين المحاربين، ويقصد

(١) الذرية: الولدان، والعسيف: الأجير.

(٢) الشرح الكبير للدردير: ١٧٧/٢، البدائع: ١٠١/٧، كشاف القناع: ٣١/٣، الأحكام السلطانية لأبي يعلى.

(٣) الشرح الكبير للدردير مع الدسوقي: ١٧٨/٢، نيل الأوطار: ٢٠١/٧.



بالضرب الأعداء، عملاً بمبدأ المصالح المرسل، أو رعاية لحالة الضرورة الحربية كالخوف على المسلمين وديارهم(١).

ولا يجوز إتلاف شيء من أموال العدو من أبنية وزروع وأشجار ومنشآت مدنية كالجسور والطرق الا لضرورة أو حاجة حربية، كالذي يعوق التحركات العسكرية في ميدان القتال، أو يختفي العدو وراءه، وأما ما لا حاجة لاتلافه، أو ما تدعو الحاجة الى ابقائه لمصلحة عامة، كالخزانات المائية، فلا يجوز إتلافه لما فيه من الإضرار، أو احتمال المعاملة بالمثل بالنسبة للمسلمين.

وتشدد بعض الفقهاء كالأوزاعي والليث وأبي ثور، وأحمد في رواية عنه، فلم يجيزوا إتلاف شيء من أموال العدو مطلقاً، للنهي الشرعي عن الفساد في الأرض، في قوله تعالى "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" (البقرة: ٦٠) وقوله سبحانه: "ولا تقسدا في الأرض بعد إصلاحها" (الأعراف: ٥٦) وقوله عز وجل: "وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد" (البقرة: ٢٠٥)(٢).

ولا يجوز في رأي كثير من الفقهاء ذبح الحيوان الا للأكل، أو للضرورة أو لخوف ضرره لو ترك، لأن الضرورات تبيح المحظورات، ولقول أبي بكر في وصيته المشهورة السابقة: «ولا تعقرن شاة الا لماكلة» ونهى عمر بن عبدالعزيز عن عقور الدابة اذا هي قامت(٣).

## ٢ - المبادئ الأخلاقية الإسلامية المقيدة لنظام الحروب:

يلتزم المسلمون في حروبهم بنماذج إنسانية مثالية رائعة تعد هي أسمى وأكرم المبادئ الإنسانية والأخلاق الرفيعة التي استفيد منها في المعاهدات الدولية من مثل ما ذكر سابقاً وما يذكر هنا، وجعلت المسلمين مضرب الأمثال في معاملتهم

(١) المبسوط للسرخسي: ٦٤/١٠، التاج والاكليد للمواق: ٣٥١/٣، المذهب: ٢٣٤/٢، الأحكام السلطانية للماوردي: ص ٣٩، كشف القناع: ٣٩/٣.

(٢) المغني لابن قدامة: ٤٥٣/٨ وما بعدها.

(٣) مغني المحتاج: ٢٢٧/٤، والمذهب: ٢٣٤/٢، المغني: ٤٥١/٨، المحلى: ٧/٣٤٣.



للأعداء، وترفعهم عن دناءات العدو، وتساميههم عن ألدان الغيظ والحقد والكرهية والتعصب الجاثمة في نفوس أعدائهم لأن المسلمين أصحاب رسالة الـهية، ودعاة هداية ونور وحكمة وأصلاح وحب وانقاذ للبشرية من الانحراف والضلالة.

وقد نص عليها القرآن الكريم، وجعلها قيوداً على واقعة الحرب وأثارها، وأهمها ما يأتي(١):

أولاً: الوفاء بالعهود والمواثيق وتحريم الغدر والخيانة: قدس الاسلام المعاهدات وأمر المسلمين بالوفاء بأحكامها، وحرّم المساس بها والعمل على نقضها من جانبهم، لقول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" (المائدة: ١) وقوله سبحانه: "وأوفوا بالعهد، ان العهد كان مسئولاً" (الاسراء: ٣٤) وقوله عز وجل: "وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها" (النحل: ٩١).

والوفاء بالعهد واجب، ولو في حال استنصار فئة مسلمة مستضعفة بالدولة الاسلامية، ما لم تكن النصرّة على قوم معاهدين، قال الله تعالى: "وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق" (أنفال: ٧٢) فلا تنصر تلك الفئة على المعاهدين من الأعداء.

وقد كان شرف الوفاء بالعهد في تاريخ المسلمين هو عنوان القادة العسكريين الذي أشاع دعاية طيبة ممتازة عنهم، وجعلهم أهلاً لكل احترام، وقبول لرسالة الاسلام، ومبادرة الى اعتناق عقيدته، والاعتزاز بتشريعه ومبادئه.

ثانياً: احترام انسانية الانسان وتكريمه والشعور الصادق بالأخوة الانسانية: يشعر المسلم أنه عضو في أسرة إنسانية كبرى، وتربطه بها رابطة الأخوة البشرية، فالناس كلهم أبناء أب واحد، وهم مخلوقون من نفس واحدة، كما قال تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" (النساء: ١) والله تعالى في كتابه العزيز كرم النوع البشري فقال: "ولقد كرّمنا بني آدم.." (الاسراء: ٧٠) ودعا الناس جميعاً الى التعارف والتآلف والتعاون والتعايش السلمي، وتسوية المنازعات والحروب بالود والثقة والمحبة، فقال: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا..." (الحجرات: ١٣).

---

(١) تمهيدات الجزء الأول لكتاب السير الكبير للأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة ص ٤١-٥٣.



وحرّم رسول الانسانية محمد بن عبدالله صلوات الله عليه كل ما يمس كرامة الانسان حيا أو ميتا، فلم يجز التجويع والإظماء من غير مسوغ، ولا النهب والسلب للأموال ولا التمثيل بأشخاص العدو، قائلا: "إياكم والمثلة ولو بالكلب" بالرغم مما فعله المشركون في غزوة أحد بعمه الحمزة بن عبدالمطلب. وقد ذكرنا وصيتي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق لقادة الجيوش باجتنب المثلة.

وذكر الأستاذ الدكتور حامد سلطان رئيس قسم القانون الدولي العام في حقوق القاهرة ثلاثة عوامل كان لها أثر حاسم في ظهور قواعد قوانين الحرب، وارتقاءها الى مرتبة القواعد القانونية، وهي عامل الضرورة لاستعمال أساليب العنف والقسوة والخداع في الحرب، وقد عرفنا أن مشروعية الحرب في الاسلام كانت للضرورة، وعامل الفروسية، وعامل الانسانية. وذكر ان المسلمين كانوا يطبقون قواعد الفروسية في قتالهم مع المسيحيين ولم يكن المسيحيون يحترمونها، وذكر مثلا لذلك أن القائد صلاح الدين امتنع من قتل ريتشارد قلب الأسد عندما قتلت فرسه، بل أرسل له فرسا جديدا ليركبها ريتشارد، وذكر أيضا ان لمبادئ الأديان السماوية أثرا كبيرا في دعم عامل الانسانية، وفي تأثيره على القتال، لما ينطوي عليه من رحمة وشفقة، وقال: لعل الدين الاسلامي كان أكثر الأديان تأثيرا في هذا الخصوص(١).

ثالثا: اعتبار مبدأ الفضيلة والتقوى أساس العلاقات الدولية في الحرب والسلم على حد سواء، والفضيلة والتقوى جامعة لكل معاني الخير والسمو من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وترفع عن الدنيا، والتزام بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهي، وعدم الانغماس في الفواحش والمعاصي والقاذورات التي يستسيغها العدو. وبناء عليه، لا يحل التمثيل بالقتلى كما تقدم، ولا الظلم والبغي، ولا قتال غير المقاتلة، ولا التدمير والتخريب لغير ضرورة حربية، ولا انتهاك للأعراض أو الزنا، وحتى وإن اقترفه العدو، لأن الأعراض حرّمات الله تعالى في كل أرض وزمان ومكان، ولا يختلف التحريم لها باختلاف الأشخاص والأجناس والأديان، لأن الدين والخلق يصاحبان المسلم أينما كان.

(١) بحث الحرب في نطاق القانون الدولي، أ.د. حامد سلطان في المجلة المصرية للقانون الدولي ص: ١٩، المجلد ٢٥.



ويعامل المسلمون كما سيأتي بيانه أسرى الحرب معاملة كريمة طيبة، ويميلون غالباً للعفو عند المقدرة، ويطلقون سراح الأسرى غالباً من غير مقابل أن لم يوجد لهم أسرى عند الأعداء.

رابعاً: ملازمة مبدأ الرحمة والشفقة بقدر الامكان: وهذا من أخلاق المسلم حتى مع عدوه، فإذا تحقق الظفر أو النصر على الأعداء، عوملوا معاملة رحيمة كريمة، فإن الله تعالى يأمر المسلمين بعد انتهاء الحرب بالكف عن القتل، ومنطق الاسلام في هذا دائماً: "عفا الله عما سلف، ومن عاد فينتقم الله منه، والله عزيز ذو انتقام" (المائدة: ٩٥). وقد عفا النبي الكريم عن مشركي مكة، وقال لهم: "أذهبوا فأنتم الطلقاء" أي الأحرار. وليس منطق الاسلام ما يقوله بعض القادة المعاصرين: "ويل للمغلوب". قال جوستاف لوبون: "ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم ولا أعدل من العرب" (١). لكن ينبغي التعقيب على هذا، ليعرف أن الجهاد في الاسلام وما يحققه من آثار ليس فتحاً مادياً استعماريّاً، ولكنه إنقاذ وتحرير للشعوب (٢) من الظلم والكبت والاستبداد ومصادرة الحريات.

خامساً: العدالة المطلقة: العدالة أساس كل علاقة انسانية داخلية وخارجية في الإسلام، لأن الظلم والطغيان أساس خراب المدنيات وزوال السلطة وانحيار النظم قال الله تعالى: "ان الله يأمر بالعدل والاحسان..." (النحل: ٩٠). ونص القرآن الكريم على وجوب العدل مع الأعداء، فقال تعالى: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله، ان الله خبير بما تعملون" (المائدة: ٨). وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن الله تعالى: "يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي، فلا تظالموا" (٣). وكان الخلفاء والقواد العسكريون المسلمون مضرب المثل في العدل مع غيرهم، وتلازم الاخاء الانساني، مع العدل في تقدير الاسلام (٤). ومن أمثلة العدالة الاسلامية: معاقبة عمر بن الخطاب على سبيل القصاص ابن واليه عمرو بن العاص لضربه مصرياً قبطياً من دون وجه حق، وقال لعمر: "متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" (٥).

(١) حضارة العرب: ص ١٤٦.

(٢) العلاقات الدولية في الاسلام للشيخ محمد أبوزهرة: ص ٣٢.

(٣) رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٤) حياة محمد صلى الله عليه وسلم لمحمد حسين هيكل: ص ٢٢٩.

(٥) سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي الطنطاوي وأخيه ناجي.



سادسا: مبدأ المعاملة بالمثل: راعى الاسلام لظروف واقعية واعتبارات كثيرة مبدأ المعاملة بالمثل في كثير من أحكام الحرب وقواعد القتال وأثاره، فقال الله تعالى: "الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين" (البقرة: ١٩٤) وقال الله تعالى: "وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين" (التوبة: ٢٦). ومن قواعد الاسلام: "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به".

ويلاحظ أن الاسلام زاد على هذا المبدأ ضرورة مراعاة قواعد الفضيلة والتزام ميزان التقوى، بحيث لا ينحدر المسلمون الى ما يتنافى مع الأخلاق والقيم الإنسانية الكريمة، وإن اقترف العدو المخالفة لهذه القواعد والموازين، حتى تتحقق العدالة، وتظهر مزية اتباع أحكام الدين السماوي.

ومن ثمرات هذا المبدأ مراعاة ما يفعله العدو في بدء الحرب وأثنائها ونهايتها من خطط وأفعال ومبارزات، فتعلن الحرب لدفع العدوان، ويقتصر من القتال ووسائله على قدر الحاجة والمصلحة، وتسوى آثار الحرب على وفق الأعراف الدولية والاتفاقيات العالمية والقواعد المتبعة في شأن الأسرى والأموال وغيرها. مع الأخذ بعين الاعتبار بمبدأ العفو والصفح، حسبما يتناسب مع ظروف الحرب وغاية القتال وأحوال العدو.

وكل هذه المبادئ الأخلاقية نابعة من أمرين: نبذ القوميات والعنصريات والحرص على إقامة سلام عالمي فعال تسود فيه الحرية والقيم الإنسانية، وتنعم البشرية فيه بالأمن والاستقرار، وتنشغل بما يوطد دعائم المدنية، وتزدهر به الحضارة العالمية.

### ٣- معاملة الأسرى والجرحى والمرضى والقتلى في الاسلام:

تميزت معاملة المسلمين لأسرى العدو وجرحاه ومرضاه بالرفق والرحمة والإنسانية، والتكريم والبر والإحسان، والإنقاذ والعلاج، وصون الكرامة نظريا وواقعا، عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم للقادة وغيرهم: "استوصوا بالأسارى خيرا" ويقول تعالى: "يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، انما نطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا" (الذحر: ٩٨).

وكان المسلمون يخصون في مبدأ الإسلام الأسرى بالخبز لقلته عندهم، ويأكلون هم التمر لكثرتهم، كما فعلوا مع الأسير أبي عزيز بن عمير، لوصية رسول



الله صلى الله عليه وسلم اياهم به(١)

وبناء على تلك الوصية قال الفقهاء: لا يجوز تعذيب الأسير بالجوع والعطش وغيرهما من أنواع التعذيب، لأن ذلك تعذيب من غير فائدة. وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بني قريظة بعدما احترق النهار في يوم صائف: "لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح، قيلوهم حتى يبردوا".

وكان يقدم للأسير عدا الطعام والشراب الكسوة الملائمة والعلاج الناجع، ولا يكره الأسير على الإدلاء بالأسرار العسكرية، ويتقرر مصيره حيا اما باعتناقه الإسلام طوعية واختيارا، أو بالمن عليه واطلاق سراحه دون مقابل، أو بالمفاداة وتبادل الأسرى، وقد يكون الفداء تعليم صبية المسلمين القراءة والكتابة، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم في شأن أسرى المشركين في موقعة بدر الكبرى، حيث كان المتعلم منهم يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة.

واستمر العمل بهذا المنهاج في العصور الاسلامية، ومثاله: دخل الخليفة عمر ابن عبدالعزيز في مفاوضات مع البيزنطيين (الرومان) للبحث في مشكلة الأسرى المسلمين وغير المسلمين ومفاداتهم عقب الحملات التي وجهت في آسيا الصغرى طوال حكم الخلفاء السابقين.(٢).

وكانت معاملة الأسرى في الحروب الصليبية من قبل صلاح الدين الأيوبي والقادة المسلمين مثلا أعلى في التسامح والترفع والسمو، من ذلك: انه توسل الى صلاح الدين رهن من النساء وناشدنه أن يفك سراح أزواجهن وأولادهن فتأثر صلاح الدين بتوسلاتهن وأمر برد الأسرى الى أقاربهم، ووزع الصدقات على اليتامى والأرامل، وعمل على إسعاف الجرحى ومعالجة المرضى بحجاج المسيحيين(٣).

وكان الصليبيون على العكس يقتلون الأسرى، كما فعل ريتشارد قلب الأسد الانجليزي الذي قتل من المسلمين أمام بيت المقدس ثلاثة آلاف، وقتل الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى من الأهالي ما يزيد عن سبعين ألفا.

---

(١) روى القصة الامام احمد (مجمع الزوائد: ٨٦/٦).

(٢) التاريخ السياسي للدولة العربية للدكتور عبدالمنعم ماجد: ٢٦٨/٢.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم: ١١٢/٤.



وكان المسلمون الأوائل يحتجزون الأسرى اما في المساجد أو في معتقلات خاصة بهم، أو يوزعونهم على جماعة المسلمين لإيوائهم وإطعامهم. وقد حبس أسرى بدر كلهم في المسجد. ووقع ثمامة بن أثال زعيم أهل اليمامة أسيرا في أيدي المسلمين، فجاءوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أحسنوا إيساره وقال لهم: "اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به اليه، وكانوا يقدمون له لبن ناقة حلب، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا ورواحا.

وكانوا أيضا يقدمون لهم الكسوة الملائمة صونا لكرامتهم الانسانية، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكسوة ابنة حاتم الطائي، وحملها ما تحتاجه، وأعطاهما نفقة، ثم خرجت مع رهط من قومها.

والدولة الاسلامية محاكمة الأسير اذا ارتكب بعض المخالفات، لأنه تحت سلطة الدولة، ويخضع لنظامها وحكمها. قال أبو يوسف: والأسير من أسرى المشركين لابد أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه(١). وليس من الاحسان اليه في شيء تركه بدون كسوة تليق به.

ولا يعذب الأسير ولا يضرب لإكراهه على الإدلاء بأسرار عسكرية، لعدم جدوى ذلك، وعدم الاستفادة من أخباره حول قضايا دولته، لكذبه عادة، ومن أمثال العرب: "أكذب من أخذ الجيش" أي الأسير. سئل الامام مالك رحمه الله: أيعذب الأسير إن رجي أن يدل على عورة(٢) العدو؟ فقال: ما سمعت بذلك.

ومصير الأسرى شرعا وعادة في الغالب اما المن عليهم "اطلاق سراحهم بدون مقابل" أو مفاداتهم أي (تبادل الأسرى أو اطلاق سراحهم بمقابل). قال عبدالله ابن عمر وسعيد بن جبير والحسن البصري وعطاء: إن حكم الأسرى إما المن أو الفداء فقط دون سواهما لقوله تعالى: "فشدوا الوثاق، فإما منا بعد وإما فداء، حتى تضع الحرب أوزارها" (محمد: ٤) فخير بين هذين بعد الأمرين لا غير، ويكره قتل الأسرى(٣). ولم يقتل المسلمون الأسرى الا في حالات نادرة جدا، كقتل واحد أو اثنين بعد معركة بدر الكبرى، لكيدهما وشدة إيزائهما نبي الله والقرآن. وهذا جائز اليوم في القانون الدولي بسبب جريمة حربية.

(١) الخراج لأبي يوسف: ١٤٩.

(٢) عورات العدو: خفائاه وأسراؤه وأماكن الضعف لديه.

(٣) بداية المجتهد: ٣٠٤/١، المغني ٣٧٢/٨ وما بعدها.



وإذا أسلم الأسير المكلف (البالغ العاقل) عصم الاسلام دمه، وحرم قتله عند جميع العلماء، لحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس (١) حتى يشهدوا أن لا اله الا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها".

وإذا أسلم أحد من السبي (النساء أو الصبيان) فلا يجوز رده الى بلاد الحرب، منعا من الفتنة في الدين أو الاعتداء على شرف المسلمة، لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات، فلا ترجعهن الى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن..." (المتحنة: ١٠).

ويجوز الاستئثار للعدو، أي تسليم الأسير نفسه للأسر، برفع الراية البيضاء ونحوها من علامات الاستسلام، اذا علم أنه سيقتل إن لم يستأسر أو خاف أن يغلب، لأن الأسر يحتمل الخلاص والنجاة (٢).

ويجوز تشغيل الأسرى لقاء أجر، وليس للمسلم أن يخون صاحب العمل، وانما يتقنه كالمعتاد، لأن "الأصل في الأشياء الاباحة حتى يدل الدليل على التحريم" (٣). وأجاز بعض الفقهاء خلافا للأغلبية للأسير المسلم ان يقاتل مع العدو عدوا آخر غير مسلم (٤).

ويجب على الدولة الإسلامية فكاك أسراها من أيدي العدو اما بمقابل أو عوض أو بغير مقابل لقوله صلى الله عليه وسلم: "فكوا العاني - أي الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض" (٥).

ويعامل المسلمون الجرحى والمرضى من الأعداء معاملة كريمة حسنة رفيقة لينة، لأن الاسلام دين الرحمة العامة بالعالمين، فيقدم لهم العلاج المناسب، وتجري لهم العمليات الجراحية المطلوبة، ولا يقتلون. وكانت النساء المسلمات يقمن بهذا الواجب في الحروب على أحسن وجه وأكرمه.

(١) المراد بهم مشركو العرب بإجماع العلماء .

(٢) التاج والاكلیل للمواق ٣/٣٥٧، مغني المحتاج: ٤/٢١٩، المغني: ٨/٤٨٥، كشاف القناع: ٣/٣٦.

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ٣٤.

(٤) التاج والاكلیل للمواق: ص ٣٤.

(٥) رواه البخاري وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.



وقال العلماء: يحرم التعذيب والتمثيل بالقتلى أى القطع والتشويه بعد الظفر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم نهى عن المثلة، ويكره نقل رؤوس القتلى من بلادهم الى بلاد المسلمين. قال الزهري: لم يحمل الى النبي صلى الله عليه وسلم رأس قط، وحمل الى أبي بكر رأس، فأنكره، وأول من حملت اليه الرؤوس عبدالله بن الزبير(١). ولا يسلب ما يكون مع القتلى من نقود وغيرها، وانما تكون غنيمة عامة للمسلمين أو للدولة. ويجب دفن جثث القتلى حفاظا على الكرامة الانسانية، ومنعا من الأذى، وتحقيقا للصالح العام، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن قتلى بدر من المشركين في مكان مشهور باسم القليب أي البئر القديمة، وحفرت خنادق لقتلى يهود بني قريظة في سوق المدينة وألقوا فيها.

هذه بعض السمات أو المميزات الإنسانية لأحكام الحرب في الإسلام، أوردناها على سبيل المثال، لأن كل ما يتعارف عليه الناس من المعاملة الكريمة في كل زمان ومكان يمكن العمل به في شريعة الاسلام، مادام محققا لمعنى الكرامة الانسانية التي يحرص عليها الاسلام، ولأن الحرب ضرورة فقط يقتصر فيها على ما تقتضيه الضرورة وتقدر بقدرها.

---

(١) المغني: ٤٩٤/٨.

